

النظام الإسلامي	مجلة
ربيع الثاني ١٣٩١	تاريخ نشر
دعم سال بيت ونجم	شماره
	شماره مسلسل
مكة المكرمة	محل نشر
عربي	زبان
محمد محمد ابراهيم	نویسنده
٤٤٢ - ٤٤٤	تعداد صفحات
من الذي يتأهل ان يقرأ كتاب الله ؟	موضوع
العلوم التي لا بد منها لتفسير كتاب الله	سرفصلها
علم تفسير قرآن	كيفية
	ملاحظات

من الذي يستأهل أن يفسر كتاب الله؟

يقلم : الاستاذ الدكتور محمد محمد ابو شعبة
عميد كلية اصول الدين بامبوت

لكل علم اهله ، ولكل فن رجاله ، ولكل صنعة من يتقنها ، وقيمة كل امرئ ما يحسن وكما ان المهندس لا يجوز له ان يتكلم في الطب ، او يزاول هذه المهنة من غير علم بالطب واصولها ، فكذلك لا يجوز للطبيب ان يزاول مهنة الهندسة او يجعل من نفسه مهندسا بغير علم ، وهكذا اهل كل فن هم ادرى به واعلم بدقائقه ، وهذا امر يكاد يكون متفقا عليه ، ولا يختلف فيه اثنان واذا اشتغل احد منهما بمهنة الاخر اعتبر مدجلا ومموها وقع تحت العقوبة الصارمة من القوانين ، ونيل من المجتمع الذي يعيش فيه .

ومن العجيب حقا ان هذه اللوثة والحماقة لا نجدنا الا بين شباب المسلمين . اما اليهود والنصارى فلا نجدهم يشجعون على التوراة ، والاناجيل تهجم شبابنا على القرآن الكريم مع الفرق الكبير ما بين القرآن ، والتوراة والاناجيل ثبوتا ، وصدقا ، وحقية ، واعجازا ، وعقيدة وشريعة ، فالتوراة ، والاناجيل لا تقارن ، ولا ينبغي ان تقارن بالقرآن الكريم في أي وجه من هذه الوجوه التي سردتها وغيرها اللهم الا اذا جوزنا في العقول المقارنة بين النير والتراب ، والحصى ونجوم السماء ، والظلمات والانوار ، والعقد المنضد من النؤلز والمرجان ، وما يصنعه الصبيان من بحر الابل والشاء .

وكيف غاب عن هؤلاء الجهلاء المتعالمين ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « من قال في القرآن برأيه فاصاب ، فقد اخطأ » رواه النسائي ، وابو داود ، والترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عنى هؤلاء الذين يجعلون الراي والهوى أصلا ، وتفسير القرآن تبعا ، ومثل هؤلاء ان اصاب الحق فرضا ، فهي رمية من غير رام ، واصابة من غير قصد ، وعمل بلانية وقوله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الحديث علي الا ما علمتم ، فمن كذب علي متعمدا ، فليتبوا مقعده من النار »

النار ، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار » رواه أبو داود ، والترمذي ، ولكن أين هؤلاء من علم السنة ، ومن آداب السنة !! بل كيف غاب عنهم تخرج كبار الصحابة على ما كانوا عليه من الايمان الصادق ، والعلم الغزير النافع ، والعمل المفيد الصالح والخلق الكامل ، والهدى الحسن ، والسنت الكريم ، والافق القوي الرحيب ، والنوق الأدبي الاصيل . . .

ومن هؤلاء صديق هذه الأمة أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأرضاه سئل عن تفسير حرف (أ) من القرآن فقال : « أي ساء تظنني ، وأي أرض تقنني ، وأين أذهب وكيف اصنع اذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما اراد الله ، !! وفي رواية : « اذا قلت في كتاب الله بما لا اعلم » .

ومن هؤلاء أيضا ما روى عن الامام الشيعي انه قال : « ثلاث لا تسول فيهن : القرآن ، والروح ، والرؤى » (٢) .
وقال : « والله مامن آية الا وقد سألت عنها ، ولكنها الرواية عن الله عز وجل » .

وروى عن العالم الجليل محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة (٣) يعني السلمي عن آية من القرآن فقال : « ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل القرآن ، فاتق الله وعليك بالسداد » (٤) .

وروى عن مسروق بن الأجدع انه قال : « اتقوا التفسير فانما هو الرواية عن الله » .

وكنتم أحب من هؤلاء التهجين على تفسير كتاب الله بغير علم ان يفقوا قليلا عند هذه الكلمة الصادقة ، المعبرة

(١) كلمة ، او جملة فانها من صاتي الحرف لغة .

(٢) أي الاحلام .

(٣) يفتح العين وكسر الباء ، والسلمي يسكن اللام وهو تابعي جليل .

(٤) الصواب وهو علم الغرض في تفسير كتاب الله بغير علم .

اصدق تعبير عن الموقف الدقيق الحرج الذي يضع نفسه فيه المفسر لكتاب الله .

وقد روى ابن جرير في تفسيره بسنده عن الوليد ابن مسلم قال : جاء طلق بن حبيب الى جناب ابن عبد الله فسأله عن آية من القرآن ؟ فقال : « اخرج عليك ان كنت مسلما لما قمت عني او قال : « ان تجالسني » .

وروى مالك - رحمه الله - عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب انه كان اذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال : « انا لا نقول في القرآن شيئا ، وكان رضى الله عنه اذا سئل عن الحلال والحرام اجاب ، واذا سئل عن تفسير آية من القرآن سكت كان لم يسمع !!

وروى ابن جرير بسنده عن عبيد الله بن عمر قال : « لقد ادركت فقهاء المدينة وانهم ليعظمون القول في التفسير منهم سالم بن عبد الله يعني ابن عمر ، والقاسم ابن محمد وسعيد بن المسيب ، ونافع » .

وروى أبو عبيد بسنده عن هشام بن عروة قال : ما سمعت أبي يؤول آية من القرآن قط الى غير ذلك من التقول التي تدل على تخرج السلف من القول في كتاب الله بغير علم .

ولعل فيما ذكرناه مذكرا لهؤلاء الذين يستودون على القرآن ، ولا يأتون البيوت من ابوابها ، ويحيون ان يدسوا انوفهم في كل شيء ، ويزعمون علم كل شيء !! يقولون ان عصرنا هذا عصر تخصص فلماذا يخالفون هذه القاعدة التي أصبحت سمة العصر الذي نعيش فيه وهذه الكلمة ليست من مبتدعات هذا العصر ، ولا من مخترعاته ، وانما هذا أمر مقرر معلوم في الاسلام من لدن العصر الذهبي للإسلام : عصر النبي ، والصحابة ، والتابعين اليهم باحسان فآله جل جلاله يقول (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وفي الحكم الاسلامية

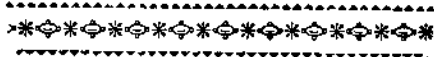
وعلى حين نجد هذا امرا مستنكرا في علوم الدنيا نجد بعض من لا علم عندهم بعلوم اللغة ، ولا بعلوم الدين اصوله ، وشرايعه ، وقواعده يشجعون على كتاب الله بغير علم !! فنجد الواحد منهم وهو لا يكاد يبين ، ولا يكاد يتبدي الى الكشف عن كلمة في قواميس اللغة ، ولا يكاد يحسن الفرق بين اصول الدين ، وفروعه ، بل لا يعرف كيف يصل ؟ وكيف يتوخأ ؟ ولا يعرف عن السنة وعلومها لا كثيرا ، ولا قليلا ، بل يجعل بعض العلوم الاسلامية جهلا فاحشا - تجده يفسر القرآن الكريم ، وهو لا يحفظ منه الا ما يصحح صلانه ، ان كان يصل ، ويقول : رأيي في هذه الآية كذا ، ولا ارى كذا ، ويفسر القرآن بهواه . . .

واذا قلت له : مهلا ، ورققا بنا ، ان للتفسير اهله وللقرآن رجاله ، وللتقوى أئمتها ، والعلم ليس بالدعوى بالباطلة ، ولا بالاماني الفارغة ، انهي باللائمة على علماء الدين الاسلامي المارقين به ، المتترسين في فنونه وعلومه بل ورواهم بكل جارحة من القول .

وزعم ان فهم القرآن وتفسيره لا يختص بفئة ، دون فئة ، وان كل مسلم من حقه ان يفهم القرآن كما يشاء ، وانه لا حرج على العقول في الاسلام ، الى نحو ذلك من الكلام الذي هو في ظاهره حق ، ولكنهم يريدون منه الباطل .

التشريع التربوي

بقلم الاستاذ عبد الله خياط
مستشار وزارة المعارف



- ٤ -

أما آراء أئمة المذاهب رحمهم الله فقد أورد صاحب الإفصاح أن الكسوة مقدرة لكل مسكين بأقل ما يجزى به الصلاة عند مالك وأحمد رحمهما الله ففي حق الرجل ثوب كالتقيص وازار وفي حق المرأة قبيص وخسار ويجزى في حق الرجل ثوب واحد ولا يجزى في حق المرأة أقل من ثوبين وبأقل ما يقع عليه الاسم أي اسم الكسوة تجزى عند أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله .
قال أبو حنيفة أقل ما يقع عليه الاسم قباء (وهو ثوب يلبس فوق الثياب) أو قبيص أو كساء أو رداء فأما الصمامة والتنديل والسرابويل والمزر فلهم فيها رويان وقال الشافعي - يجزى جيبع ذلك - وفي القلتسوة وجهاً لأصحابه أهد باختصار وافترق الأئمة رحمهم الله على أنه لا يجزى إخراج القيمة في الكفارة عن الأطعام والكسوة إلا أبا حنيفة فإنه أجاز ذلك .

نتقل بعد ذلك إلى الدرجة الثالثة في دفع الكفارة كفارة اليمين وهي دفع الدرجات (عتق الرقية) كما نصت الآية الكريمة (فكفارته أطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة) فمن كفر عن يمينه بعتق رقبة فقد بلغ الذروة في التكفير عن يمينه والقيمة في الفضل ذلك لما ورد في عتق الرقاب أي منح الحرية عن من أذله الرق وأخضع رقبته من الفضل العظيم والأجر الجزيل والأحاديث في فضل عتق الرقاب كثيرة لا نعرض في هذه المقالة لشيء منها .
ويشترط أن تكون الرقية التي يراد عتقها مؤمنة كما جاء في كفارة قتل الخطأ قال تعالى (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) الآية وجاء في الموطأ وصحيح

ورعدت في المقال الأسبق بمواصلة البحث في موضوع الكفارة بالكسوة بعد أن تحدثت عن لغو اليمين والكفارة بالأطعام عند الحديث في اليمين المفقودة .

والكسوة ترتفع عن الأطعام وتختف عن عتق الرقية - فهي وسط بين الكفارتين ويتطلب الحديث عنها تحديد الكسوة وما يجزى وما لا يجزى فيها قال بعض المفسرين رحمهم الله يجزى كل ما يسمى كسوة أي في العرف وأدناه ما يلبسه المسكين عادة وهو المتبادر من الآية الكريمة وفي الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضيت الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (أو كسوتهم) قال (عباءة لكل مسكين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما عباءة لكل مسكين أو شملة يقصد ما يشمل جسده كله ويستتره كالثياب وما في معناها يؤيد ذلك ما روى عن إبراهيم النخعي قال ثوب جامع كالمحففة والرداء - ووردت روايات أخرى عن أئمة التفسير من التابعين تكاد تكون متقاربة في المعنى كما تقدم عن الثياب والأردية وكل ما يمكن أن يطلق عليه كسوة ولذلك رجح بعض العلماء المحققين أنها تختلف باختلاف البلاد والأئمة كالأطعام وهو منطبق معقول فكما يصح للمرء أن يدفع كفارة في الأطعام من عامة قوت البلد - الذي يسكنه - يصح له أن يدفع كفارة من سائر ما يلبسه أهل البلد الذي يسكنه فاهل أندونيسيا مثلا عامة لباسهم الأزرق والأقمصة القصيرة فلهم أن يدفعوا في الكفارة من أوسط هذه الأزرق - والأقمصة من حيث الشكل والسعر كما يصح لهم أن يدفعوا الأزرق كفارة في الأطعام وهكذا كل بلد يسرون على هذا النوال في الكسوة والأطعام دفعا للحرج والاعتناء .

لقد ضقت ذرعاً ، وضاق معي الكثيرون بهذه الففة التي تناولت على كتاب الله ، وفسرته بحسب ما يحلو لها ، فإذا بدت لهم فكرة - ولاح لهم رأي حاولوا ما استطاعوا أن يدعوه من كتاب الله ، ولو وصل الأمر إلى التحريف للكلام عن مواضعه ، وأن يزيغوا بالقرآن عن منهجه المستقيم ، وطريقه اللاحب .

وكثير من هؤلاء قد يكون صاحب جريدة ، أو مجلة أو محرراً في صحيفة أو مجلة ، أو في مكان مرموق ، أو من بطانة ذوي الأمر والنهي ، والحكم والسلطان ، فيستغل ذلك في نشر باطله ، والترويج له .

وإذا ما أراد غيور على كتاب الله أن يرد على الباطل حيث نشر ، فإنه لا يجد إلى ذلك سبيلاً ، ولا يملك إلا أن يحرق ويضرب كما يكف !!

هذا وسأكتب إن شاء الله فيما يستقبل في العلوم التي رأى علماء الأمة وأئمتها من السلف والخلف أنها لا بد منها لمن يتصدى لتفسير كتاب الله ، والذي يستأهل أن يسمى مفسراً ، وسأزيد عليها ما أرى أنها لا بد منها أيضاً ولا سيما في عصرنا هذا التي تشعبت فيه المذاهب ، والنحل ، وساد فيه التشكيك في المعتقدات هذا العصر الذي يحتم على المفسر لكتاب الله أن يكون على درجة عالية من الثقافة العالية الواسعة ، وبالتيارات الفكرية ، وبالإلمام بالعلوم الكونية والا آني في تفسيره بما يضحك ويبيكي ، وقد يجز على الإسلام من الضرر أكثر مما ينفع ومن الله نستمد العون والتوفيق فإلى المقال الآتي إن شاء الله تعالى .

عن سيدنا علي ، على ما أذكر أنه قال : قيمة كسل امرئ ما يحسنه .

ونحن معاشر علماء الإسلام حينما نقول - وحق لنا أن نقول - أن تفسير القرآن ومعرفة مراميه ومغازيه ، ودلائل خطاباته ، وأحكامه وآدابه إنما المرجع فيه إلى العلماء الذين أجادوا كتاب الله حفظاً ، وفهماً ، ومعرفة محكمة ، ومتشابهة وناسخه ومنسوخه ، وحلاله ، وحرامه ، وعامه ، وخاصه ، ومطلقه ، ومقيده ، ومكيه ، ومدنيه ، وسبب نزوله ، وأول ما نزل منه ، وآخر ما نزل ، ومعرفة لغاته ، وغريبه - لم نقل أمراً منكراً ، ولا جثناً أمراً ادا ، وإنما هو الحق الذي يجب أن يكون أننا حينما نقول ذلك لا نريد الحجر على العقول ، ولا نريد قفل باب الاجتهاد كما يزعمون ، فباب الاجتهاد في الإسلام مفتوح إلى يوم القيامة في التفسير ، وفي الأحكام وغيرها ، ولكن للاجتهاد شروطه ، وللاجتهاد أدواته ، فمن تحققت فيه الشروط ، واستجمع الادرات فتح له أن يجتهد .

وإني لا أدري كيف يستطيع انسان - مهما كان معه من شهادات ودرجات علمية - لا يكاد يستقيم لسانه على قواعد العربية ، ولا يعرف من علوم الإسلام التي لا بد منها للمجتهد شيئاً حتى أسماها ، أن يجتهد في تفسير كتاب الله ، ولكننا في عصر الأعاجيب وعصر السنن !! يستنسن الكثيرون بما ليس فيهم ، ويبدو الكثيرون كلابس ثوبي زور !!



العلوم التي لا بد منها لتفسير كتاب الله

بفلم : الاستاذ الدكتور محمد محمد ابو شهية
عميد كلية اصول الدين بسيوط

- ٢ -

في انقال السابق تحدثت عن أربعة علوم وفي هذا المقال أتناول ما يتيسر من الباقي فأقول وبالله التوفيق:

« الخامس ، والسادس ، والسابع »

علوم المعاني والبيان ، والبدعي ، لانه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعاني ، وبالتالي خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها ، وبالتالي وجوه تحسين الكلام ، قالوا :

وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم أركان المفسر ، لانه لا بد له من أن يعلم ما يقتضيه الاعجاز ، وانما يدرك بهذه العلوم .

وقال السكاكي : اعلم ان شأن الاعجاز عظيم يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها . وكالملاحاة - يعني تدرك وقد يعجز الانسان عن تحديدها باللفظ - ولا طريق الى تحصيله لغزير ذوي الفطرة السليمة الا التمرن على علمي المعاني ، والبيان (١)

اقول : وتعلم البلاغة بالطريقة التي وضعها الامام السكاكي ، وامثاله ممن قعدوا اتقوا عسده ، وفسفوها لا تكون ملكة ، ولا تربي ذوقا ، وكثير ممن درس البلاغة على هذا النحو الجاف لا يستطيع ان يكتب صحيفة بليغة ، أو يجيز مقالا رائعا ، مشرقا ، يأخذ بمجامع القلوب ، ويستولى على النفوس ، فضلا عن كتاب !! وانما الذي يجدى في تكوين الملكة ، وتربية الذوق البلاغي ، وازدحام الحس الأدبي ، هو مزاولة الجيد من القول ، والتبليغ من كلام العرب نثرا ونظما ، والمقارنة ، والموازنة بين

(١) الاقناع ج ٢ ص ١٨٦ .

(٢) فنانين يا فنتين صفتين .
(٣) في القاموس مادة « اسل » ركائز : الاملس المستوي ، ومن الخدود : الطويل المسترسل .

١٤٤٣
١٤٤٣

أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان ، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب ، والكتابة ، والشعر ، وصارت لهم بذلك دراية ومملكة تامة ، قال هؤلاء ينبغي أن يرجع في معرفة الكلام ، وفضل بمضه على بعض (٤) أقول : وهو كلام من أحسن بمكان .

وقال الزمخشري في مقدمة تفسيره : ثم ان أملا العلوم (٥) بما يغمر القرائح ، وأنهضها بما يهجر الأبواب القوارح ، من غرائب نكت يظن مسلكها ، ومستودعات أسرار يدق سلكها - علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه ، واجالة النظر فيه ، كل ذي علم - كما ذكر الجاحظ في كتاب - نظم القرآن - فأعقبه وان برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام ، والتكلم وان بز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والأخبار ، وان كان من إبن القرية (٦) أحفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصري أحفظ ، والنحوي وان كان أنحى من سيبويه ، والنحوي وان علك (٧) اللغات بقوة تحييه ، لا يتصدى منهم أحد لسنوك تلك النظرائق ، ولا يفرض على شيء من تلك الحقائق ، الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني ، وعلم البيان ، وتسهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في انتقير عنهما أزمته ، ويعتبه على تتبع مظانها مهة في معرفة تطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون اخذ من سائر العلوم بحظ ، جأعما بين امرين : تحقيق ، وحفظ ، كثير المطالعات طويل المراجعات ، قد رجح زمانا ، ورجع اليه ، ورد ورد عليه ، فارسا في علم الاعراب مقدما في حمة الكتاب ، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة ، متقادها ، مشتمل القرية ، وقادها ، يقظان النفس (٨) . دراكنا للمحة ، وان نطق شأنها ، منتبها

(٤) الاقناع ج ٢ ص ١٨٦ .

(٥) اشتمها امتلا ، بالقول .

(٦) بكر القاف ، وتقديد الراء للمسودة أحد فصحاء العرب وهو اسم امه .

(٧) اشتمها وجرى لسانها بها .

(٨) في نفسه حركة ، وسبوية ، وعدم دخول مثل هذا يكون

دراكنا للمحة ، منتبها على الرزمة أي الرمز والاضارة ولا اكتسك أيها

الغزوي ان التثنية ، وتمايلت من لغة هذه التعابير التي لا يقدر

عليها الا امثال الزمخشري ولا سيما كلمة « يقظان النفس » !!

على الرزمة ، وان خفي مكانها ، لاكزا جاسيا ، ولا غليظا جافيا ، متصرفا ذا دراية بأساليب النظم ، والنثر ، مرتاضا غير ريش (٩) بتلقيح نبات الفكر ، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ، ويرصف ، طالما دفع الى مضايقه ، ووقع في مباحضه رمزالقه « (١٠) .

واني لا اوصي طلبة العلم أن يحفظوا هذه النصوص وامثالها من كلام أئمة العلم ، والبلاغة والبيان ، وينقبوا عن معانيها وسيحصل لهم من النشوة ، وحب اللغة العربية ، ما تقصر عنه العبارة وقال الزمخشري أيضا : من حق مفسر كتاب الله الباهر ، وكلامه المعجز ، أن يتعمد بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدي سلبا من القادح .

اقول : والزمخشري من خير ان ثم يكن خير من له في ادراك اعجاز القرآن باع طويل ، وخير من أفصح عن أسرار اعجاز القرآن بطريقة العرب الفصحاه والبلاء ، لا بطريقة أهل الفلسفة والكلام ، وليس أدل على هذا من أن الكثرة الكاثرة من التكت البلاغية التي عرض فيها لظاهر اعجاز القرآن ، وأسراده تابعه عليها معظم المفسرين الذين جاؤا بعده الى يومنا هذا ، ولولا ما شاب كتابه هذا من اعتزاليات ، قد تدق وتخفي على غير أئمة العلم ، لكان تفسيره خير التفسير ، ولست ممن ينفرون طلبة العلم من قراءته ، ولكني اوصيهم بقراءته وتدبره مع الحذر مما فيه من مسائل اعتزالية .

وقد كفانا التنبيه على ما فيه من مذاهب اعتزالية الامام العالم العلامة أحمد بن المنير المالكي قاضي الاسكندرية ، وعالمها وخطيبها في القرن السابع الهجري ، وكفاه فضلا ومنزلة مقالة الامام سلطان العلماء العز ابن عبد السلام فيه ، وفي صنوه الامام العلامة ابن دقيق العيد قال : « الديار المصرية تفتخر برجلين : ابن دقيق العيد بقوص (١١) وابن المنير بالاسكندرية » (١٢) وأذكر أنه قيل لاحد العلماء : ان شيخك فيه بدعة فقال:

(٩) مرتاضا : ما تمت رايته حتى صار طينا له والريش :

ما كان اهلا لها ولم يرد بهه .

(١٠) الكشاف ج ١ خطبة الكتاب .

(١١) بلد من بلاد مسيد مصر .

(١٢) حسن المعاصرة في اخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ١٢٧ .

العق العسل ، وأدع الصبر !! وما أحكمها - والله - من كلمة .

وهو يوافق الزمخشري في غالب نكاته البلاغية ، ويستجدها ، ويستحسنها ، وربما يخالفه في بعضها ولا سيما في الآيات التي ينحرف فيها الزمخشري . محاذرا تخريجها وبيان وجه البلاغة فيها على تفسيرها بما يوافق مذهب الاعتزال ، فبرد عليه الشيخ ابن المنير مبينا أن وجه البلاغة فيها إنما هو في تخريجها وتفسيرها بما يوافق مذهب أهل السنة والجماعة فيها .

ومن يقرأ كتاب « الانتصاف من الكشاف » يتبين له قدر الاسام ابن المنير وأنه هو الزمخشري قرنتان ، وفحلان لا يصولان .

« الثامن » علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالفاظ القرآن الكريم ، والقراءات المتواترة ، والصحيحة ، والشاذة ، والموضوعة ، وما هو منها قرآن ، وما ليس بقرآن ، وبمعرفة القراءات يترجع بعض الوجوه المحتملة على بعض ، كما أن فيها ثروة في المعاني ، فغالب القراءات تؤدي معنى غير ما تدل عليه القراءة الأخرى ، كما أن فيها ثروة في اللغات واللهجات .

« التاسع » علم أصول الدين ليعرف وهو يفسر القرآن ما يجب لله وما يستحيل عليه وما يجوز له وليعرف الفرق بين العقائد والترايع ، وما هو من أصول الدين ، وما هو من فروعه وليقف على مذاهب السلف ، ومذاهب الخلف في الآيات المتشابهات ، فيرجع ما هو حقيق بالرجحان منها عن دليل واقتناع ، لا عن تقليد ومجرد اتباع .

« العاشر » علم أصول الفقه ، لأن به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام ، وطريقة استنباطها من النصوص القرآنية ، والقرآن هو أصل الدين ومنبع الصراط المستقيم ، ومنه تستقى الأحكام والحكم ، والأخلاق والآداب ، والمواظع والزواجر ، وعلم أصول الفقه يعنى استنباط ذلك .

« الحادي عشر » علم أسباب النزول وعلم القصص والأخبار ، لأنه بمعرفة سبب النزول يعرف المعنى المراد

من الآية . كما أنه يزيل الاشكال عن بعضها ، ويبين بعض حكم الله في التشريع ، ويعلم القصص بعرف ما هو من الاسرائيليات ، وما ليس منها ، وما هو ، حق ، وما هو باطل وما هو صدق ، وما هو كذب .

« الثاني عشر » علم الناسخ والمنسوخ ، وهو من الأهمية بمكان للمفسر حتى لا يختلط عليه الناسخ بالمنسوخ ، وبالأ وقع في خطأ كبير ، وحرع عظيم .

روى الامام ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل بسنده عن ابي البخري قال : « دخل علي بن ابي طالب المسجد فإذا رجس يخور الناس ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل يذكر الناس ، فقال : ليس برجل يذكر الناس ، ولكنه يقول : أنا فلان بن فلان فاعرفوني فأرسل اليه ، فقال له : أنتعرف الناس والمنسوخ ؟ فقال : لا ! قال فأخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه » وروى بسنده عن عبد الرحمن السلمي التابعي الجليل قال : « مر علي بن ابي طالب - كرم الله وجهه - برجل واعظ ، فقال : هل عرفت الناس والمنسوخ ؟ قال : لا قال : هلكت ، وأهلك ، وروى بسنده عن ابن عباس في قوله عز وجل : (ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) قال : المعرفة بالقرآن : ناسخه ، ومنسوخه ، ومحكمه ، ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله ، وحرامه ، وأمثاله (١٣) .

« الثالث عشر » علم الفقه إذ به يعرف مذاهب الفقهاء ومن احتج منهم بالآية ، ومن لم يحتج بها ، وطريقة كل منهم في فهم الآية والأخذ بها ، أو الاجابة عنها ، وبذلك لا يقع في أخطاء فينسب القول لغير قائله ، أو ينفيه عن قائله .

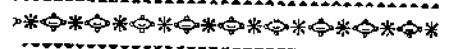
« الرابع عشر » علم الأحاديث ، والسنة ، والآثار المبينة لتفصيل الجمل ، وتوضيح الجبه ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وقد وكل الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بيان ما أنزل عليه من القرآن قال تعالى

« البقية في ص ٤٤٨ »

(١٣) النسخ والمنسوخ لابي جعفر الطوسي ص ٦٠٥

التشريع التربوي

بقلم الاستاذ عبد الله حياض
مستشار وزارة المعارف



- ٦ -

من مقتضيات الاجتماع وحفظ التوازن بين البشر من التشريعات الكفيلة بضمان حق الحياة وتنظيم الصلة بين المجموع ليتمكن من التعاضد بعيدا عن الخطر والزلازل وفي مناجاة عن الطغيان والعدوان - وإن من محاسن دين الاسلام دين العقل والطمأنينة ان وضع لاتباعه من التشريعات والتعاليم ما هو بمثابة دعائم يرتكز عليها حفظ التوازن بين المجموع وتقضى على منارات الاحن وعوامل الشر ومن بين تلك التشريعات تحريم الخمر والميسر وايضاح العلة من هذا التحريم وبيان المصلحة منه ففي ايضاح علة التحريم وبيان وجه المصلحة منه اكبر حافز لايقاظ الضمان والشعور بالمسئولية في ضرورة الاذعان والاستجابة للأخذ بالتشريع في حزم وعزم ولضمان السلام بين الجماعة وعدم اشاعة العدوان في صفوفها .

أما العلة في تحريم الخمر والميسر فتبدو واضحة من الآية الكريمة (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء ، في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) .

فهي تهدف الى غرضين

أولاً - غرض ديني - يرتب عليه سعادة العبد في أولاه وعقباه وبه قوام صلته بالله وهو مظهر شعوره بعبوديته لربه واستجابته لامره ونهيه وتقانيه في اعطاء الصورة الصادقة على ذلك .

ثانياً - غرض اجتماعي - وعليه مدار الصيانة والحفاظ على الحقوق الاجتماعية وعدم اهدارها بعوامل اثاره العداوة ووضع بنور البغضاء .

ويبدو الغرض الأول أو العلة في تحريم الخمر والميسر من شطر الآية الأخيرة (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وذكر الله عليه مدار السعادة في حياتي العبد أولاه وعقباه وفيه متعة النفس وطمأنينة القلب كما قال تعالى (ألا بلذكر الله تطمئن القلوب) ومن حرم هذه الطمأنينة أمضى حياته موزعا تتشعب به الأهواء وتستبد به الهوموم فلا يقر له حال ولا يصفو له عيش فيدركه الأجل ولم يقد من دنياه ما يعتد به لعقباه من رصيده في صالح الاعمال وخاصة الذكر الذي لا يكلفه إلا أن يحرك به لسانه فيربح المظن .

والصلاة عماد الدين وفيها متعة الروح ولذلك كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول لمؤذنه أرحنا بها يا بلال - وهي اكبر عامل للصلاح تكبح جماح النفس عن النزوات والصبوات وترتفع بها الى مراتب الفلاح كما قال تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ولذا كان من الحرمان الذي لا يبدله حرمان أن ينصرف العبد عن ذكر الله وعن الصلاة وكان من أرفع الأغراض ومن المصالح الدينية والاجتماعية للأمة الاسلامية تحريم الخمر والميسر والتجافي عنهما وحظر الانزلاق في أو حالهما .

أما الغرض الثاني والعلة من تحريم الخمر والميسر فيوضح من صدر الآية الكريمة (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء ، في الخمر والميسر) فالخمر يكون فاقد السيطرة على نفسه وشعوره بتخبط في أودية من تخبط الجنون لا يمي ما يقوله فيظهر السر المكتوم ويهتك السر المحزون وتأخذ النشوة بنفسه فيتصور

مع جوامع الكلم وبنائيع الحكم

أو كما قال : صل الله عليه وسلم

بقلم الدكتور : محمود بن الشريف

استاذ الحديث بكلية الدراسات الإسلامية بأم درمان

ان اصلق الحديث كتاب الله تعالى ، و خير الهدي سيدنا محمد صل الله عليه وسلم ، و شر الامور محدثاتها ، و كل محدثة بدعة ، و كل بدعة ضلالة ، و كل ضلالة في النار ، و بالسنة المتصلة عن رسول الله صل عليه وسلم انه قال : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فادها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع ،

بهذا التاموس المحمدي ، يضع رسول الله صلوات وسلامه عليه ، العالم على الطريق .. طريق الحفاظ على السنة .. والتحري في روايتها ، والتنشيط في أدائها ، يضع السياج الحامي حتى يكفل لسنته الصون الدائم ، والحفاظة المستمرة والدقة الدقيقة . ولا غرو : فهي تحصل تراث المسلمين التاريخي ، وزادهم الروحي . وقررتهم التشريعية ، وهي تحمل هدى محمد صل الله عليه وسلم ، وجوامع كلمه وبنائيع حكمه ، وهي تحمل التركة الإسلامية بكل قوانينها وموازينها وحكمها واحكامها من يوم مبعث خاتم النبيين ، الى يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وكاني برسول الله ، صل الله عليه وسلم ، حينما قال حديثه السالف ذلك ، كاني به يسبق الزمن فيتحدث عن حياتها ، صدا لمحاولات المفرضين ، والشائتين ، ومن تصبوا أنفسهم للئيل منها - وكثير حاهم -

فلا عجب أن أمر عليه الصلاة والسلام بالتمسك بها والمحافظة عليها بيبض نقيه - صافية ، خالصة مما يشوب خالية مما يشين .

ولا جرم : فالسنة المحمدية لها في الدين قيمة كبرى بعد كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فهي الأصل الثاني من

وكل هذه الأحاديث تصور الوعيد الشديد لتعاطي الخمر مما يردع أرباب العقول النيرة عن الترددي في حاة الرذيلة والجنابة على العقل وتطيله بما يحدثه السكر وما ينشأ عنه من العداء والبغضاء والعدوان على الأبرياء والهديان الذي تنطق به السنة السكارى حتى تفضح الأسرار وتقطع الأواصر كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول تحريم الخمر قال انما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا فلما أن غل القوم عبت بعضهم ببعض أي سطا بعضهم على بعض فلما ان صحوا جعل الرجل منهم يرى الآخر بوجهه وبرأسه ولحيته فيقول صنع بي هذا أخي فلان وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن والله لو كان رموفا وحيجا ما صنع بي هذا أخي ووقعت الضغائن فانزل الله هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم متبهون ؟) .

المعلوم التي لا بد منها

« بقية ص ٤٤٤ »

وما يجهر فيها وما لا يجهر ، فجات السنن والأحاديث ففصلت كل ذلك .

وقد قال سيدنا عمران بن حصين لرجل سأله عن مثل هذا : أتجد في كتاب الله الظاهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ، ثم عدد عليه الصلوات ، والزكوات ، ثم قال : ان كتاب الله أجمل هنا ، وان السنة بينته ، فالقراءة أوجح الى السنة ، من السنة الى القرآن وهي ألزم لمن يفسر القرآن .

ثالثا - حديث عبد الله ابن عمر عند النسائي قال قال رسول الله صل الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه والممن للخمر والمندان بيا اعطى .

رابعا - حديث في الصحيحين عن رسول الله صل الله صل الله عليه وسلم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن .

خامسا - حديث أسماء بنت يزيد عند الامام أحمد انها سمعت النبي صل الله عليه وسلم يقول « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة ان مات مات كافرا وان تاب تاب الله عليه وان عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال ، الحديث .

(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلمهم يتفكرون) وقد كان النبي صل الله عليه وسلم يبين تارة بالقول ، وتارة بالفعل ، وتارة بهما معا ، وقد ثبت أنه قال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » وفي حجة الوداع قال : « خلوا عني مناسككم فلمن لا ألقاكم بعد عامي هذا » .

وقد قال الله تعالى : (واقموا الصلاة وآتوا الزكاة) ولكنه لم يبين أركان الصلاة ، وشروطها ، ولا أبعادها

العلوم التي لا يبرهنها التفسير ككتاب الله

د. محمد أبو زينة

ذكرنا في المقالين السابقين أربعة عشر علما مما ذكره علماءنا الأئمة من يصرح المسلم اهتداً لتفسير القرآن

الكريم وعلقت عليها . ووضحنا وبقي مما ذكره .

يتكبرون في الأرض بغير الحق (٢) قال سفيان الثوري - يعني في تفسير هذه الآية - : « انزع عنهم فهم القرآن » أخرجه ابن أبي حاتم (٣) وصدق الإمامان الزركشي ، والسبوطي ، فإن علم الزهبة ثمرة من ثمرات التقوى ، والتقوى لها معنيان : ١ - معنى نفسي ، وهي خشية الله ، ومراقبته في السر ، وعلان ، وهذا المعنى هو ما اراده النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال : « التقوى ههنا ، التقوى ههنا » التقوى ههنا ، وأشار الى صدره ، رواه الإمام مسلم في صحيحه .

٢٠ ، ومعنى ظاهري ، وهي الاستقامة على الدين ، وذلك بامتنال الأمور ، واجتناب النهيات ، وقد تسمو بصاحبها ، فتصل به الى حد فعل النوافل ، والمستحبات أيضاً ، واتباع مكارم الأخلاق ، وتوقي الشبهات خشية الوقوع في الآثام والمحرمات ، ومن يرمي حول الحمى يوشك أن يواقعه .

والتقوى بمعنيها لا بد منها لمن يتصدق لشرح كتاب الله ، وتفسيره ، وبيان المراد منه وفي هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى : (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) (٤) والفرقان : مصدر كالفران والرجحان أي معنى في قلبه يفصل به بين الحق والباطل .

(٢) الامراف آية ١٤٦

(٣) الاثنان ج ٢ من ١٨٠-١٨٢ وانظر اليرسان للزركشي -

(٤) الاثنان آية ٢٦

الخامس عشر ، علم الموهبة ، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم وانبه الاشارة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ، (١) .

قال ابن أبي الدنيا : وعلوم القرآن ، وما يستنبط منه بحر لا ساحل له ، فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر ، لا يكون مفسراً الا بتحصيلها ، فمن فسر القرآن بدونها كان مفسراً بالرأي المنهني عنه ، واذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهني عنه ، والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية والطبع ، لا بالاكتماب ، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي صلى الله عليه وسلم وقال السبوطي : ولعلك تستشكل علم الموهبة ، وتقول : هنا شيء ليس في قدرة الانسان !! وأيس كسا طننت من الاشكال ، والطريق الى تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة من العمل ، والزهد .

وقال الزركشي في البرهان : اعلم أنه لا يحصل للمناظر فهم معاني الوحي ، ولا يظهر له أسراؤه ، وفي قلبه بدعة ، أو كبر ، أو حوى ، أو حب الدنيا ، أو هو مصر على ذنب ، أو غير متحقق بالإيمان ، أو ضعيف التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم ، أو راجع الى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض قال السبوطي - تعليقا على هذا - : ويدل على هذا المعنى قوله تعالى : (سامرغ عن آياتي الذين

(١) رواد أبو نعيم عن انس .

بصالحهم الله وتعدي حدود الله (ومن أصل من اتبع هراء بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) .

أما الآية الثانية التي تصور الهجرة المطلوبة وهي قوله تعالى حكاية عن وصية ابراهيم ويعقوب لبنيه (يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وهي وصية قائلة الى قيام الساعة لكل من احتضن الاسلام ديناً والتزم شعائره ومبادئه مسلماً يجب أن يبقى مستمسكاً به لا يصرقه عنه فتن المضللين ولا أفتن المافوسين ولا مزاعم أصحاب الأهواء المارقين وما أكثرهم في أعقاب الزمن يقول ابن كثير في تفسير الآية الثانية وهي بهذه اللغة وهي الاسلام لحرصه عليها ومحبتها لها بأن يحافظوا عليها الى حين الوفاة ويوصوا



على هامش المؤتمر

بقية ص ٢٦٦

واقف طالما اوضح هذه الحقيقة وفي أكثر من مناسبة . . المثلث فيصل بن عبد العزيز .

وهو اليوم يؤكد عليها في خطاب، القيم الذي انقاه في افتتاح المؤتمر . . ومما قاله جلالتة في ذلك : « نحن والله الحمد اذا وفقنا للمسك بايماننا وبشريعتنا وبتعاوننا فيما بيننا والصدور امام اعدائنا فتاك من اكبر نعم الله علينا » .

وفي هذا الخطاب الرائع شرح جلالتة كل العتائق عن حالة المسلمين اليوم . . وهو في خطابه يهيب بالمسلمين أن يهودوا للهسك بالسلامة ويقفوا صامدين متحدين امام التحديات . . التي يابس آهسده المسلمين الا أن يتابعوها بكل ما لديهم من الاحقاد .

ويعد فلي هذا العدد صدوة من قرارات مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الثالث ؛ وسيجد القاري الكريم انها قرارات تنازلت بالبحث الشامل اهم القضايا والمسائل ؛ وعلى رأسها قضية المسلمين الأولى : قضية فلسطين .

انها قرارات تنطق بنفسها ؛ لا تحتاج الى تعليق .

قرارات تعتبر - دون ريب - خطوة جديدة ؛ بعيدة المدى ؛ في طريق العمل الاسلامي الجاد . فليبارك الله هذه الجهود المخلصة ؛ وهذا العمل الجليل سائلين المولى عز وجل . . أن تزداد هذه الجهود وأن تتوالى هذه الثمار ؛ وأن يهي للعرب والمسلمين كل أسباب العزة والكرامة والتصر . . انه سميع مجيب .

وليمثل المفسر لكتاب الله تبارك وتعالى أنه يفسر كلاما لا كلام الناس ، وأنه قائم بين يدي الله الواحد ، الأحسد ، الجبار ، الكبير ، المتعال ، المنتقم ، وإن أي تقصير أو تساهل في بيان مراد الله تعالى يعتبر كذبا على الله ، وافتراء عليه .

وسلوا بطانات الملوك ، والرؤساء ، والأمراء ، والوزراء ، يبنوكم بأن الواحد منهم محسوب عليه كل كلمة ينطق بها ، بل كل حرف يفوه به ، ومؤاخذ على كل ما يصدر منه مهما قل ، وأن كلمة يقولها ربما تطيح بصفته ، أو تقصيه عن منصبه وقد يكون ذلك في شأن من شؤون الدنيا .

فما بالكم ين يفسر كلام رب الأرباب، وملك الملوك؟! ويقول : مراد الله كذا ، أو عنى الله كذا ؟! ويقول عليه في عظام الأمور ، وأمر الدين .

وهذا هو السر في أن بعض كبار علماء الصحابة وقائلهم ، والتابعين ، ومن بعدهم كان يتحرج غاية التحرج من القول في التفسير ، على ما كانوا عليه من العلم العزيز ، والعقل المستنير ، والقلب المستنقى .

علوم أخرى لا بد منها أيضا للمفسر :

وقد زاد على ما قاله الأئمة القدامى وتخصه السويطي في «اتقانه» بعض الأئمة المتحدّثين كالاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده العالم الأزهرى المصرى ، ومدرسته التي أخذت عنه ، وعلى رأسها السيد محمد رشيد رضا ، صاحب تفسير « النار » فقد ذكر شيئا من ذلك السيد محمد رشيد رضا عن شيخه الأستاذ الإمام في مقدمة تفسيره (٥) وقد زدت - والله الحمد والمثنه - كما زاد غيري بعض علوم ومعارف أخرى وما ألتذا أجمل ذلك فيما يأتي :

١ - أن يكون عالما بالسند والأحاديث صحيحها ، وحسنها ، وضعيفها ، ولئن عز ذلك في عصورنا هذه فليكن واقفا ما قاله العلماء ، وجمعه الأئمة فيما يتعلق

(٥) تفسير المنار : ج ١ الصفحات .

بتفسير القرآن ، وبيان فضائل آياته وسوره ، وفي كتب الأئمة ما يفى بهذا .

ولو أن المفسرين القدامى والمحدثين كانوا جميعا من حفاظ الحديث ، ونفاذه المميزين لغنه من سميته ، وأنته الذين جمعوا بين الرواية والدراية لما وقع في كتب التفاسير كل هذا الدخيل من الأسرائيليات ، والأحاديث الموضوعية ، والضعيفة ، ولما عانى المسلمون اليوم ما يعانونه من الآثار السيئة ، التي ترتبت على وجود هذه الأسرائيليات الموضوعات ، والروايات الواهية والساذغة في كتب التفاسير ، والتي كانت مثار شبه ، واعتراض ، ومهاجمة من المبشرين ، وبعض المستشرقين .

٢ - أن يكون عالما بالسيرة ، ولا سيما سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسير أصحابه النبلاء - رضوان الله عليهم - وعالما بالتواريخ ، وأحوال الأمم الماضية ، ولا سيما تاريخ الأنبياء السابقين ، والملوك الفايدين ، فإن ذلك يعين المفسر على إصابة وجه الحق ، والصواب ولذلك أمثلة تعدد حد الحصر .

٣ - أن يكون على علم بعلم الاجتماع البشري فإن هذا العلم يعين على فهم المراد من بعض الآيات القرآنية ، وتفسيرها تفسيراً علمياً صحيحاً قائماً على أساس من علم الاجتماع ، وأحوال البشر في كل زمان ومكان .

ولا أدري كيف يتأتى للمفسر الذي يجهل علم أحوال البشر ، أن يفسر هذه الآيات وأمثالها ، كقوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ، ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بقيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) (٦) وقوله تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) (٧) وقوله تعالى : (ان الله لا يغير ما يقوم

(٦) البقرة آية ٢١٣

(٧) هود آية ١١٨ - ١١٩

حتى يغيروا ما بانفسهم . وإذا أراد الله بقوم سويا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال) (٨)

٤ - أن يكون على علم بعلم النفس وقواعده ، فإن بعض الآيات القرآنية لا يمكن فهمها حق الفهم ، وإدراك ما فيها من الإعجاز حق الإدراك الا بمعرفة هذا العلم ، وذلك مثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلؤنكم خيالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) (٩)

وقوله تعالى : (ولو نشاء لآريناكم فلعرقتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول ، والله يعلم أعمالكم) (١٠)

وقد يقول قائل إن هذا العلم من العلوم المستحدثة فكيف يتوقف تفسير القرآن على معرفته مع أن الله تبارك وتعالى حث الأمة على تدبر القرآن وتفهمه من يوم أن نزل القرآن ، ومن قبل أن يعرف هذا العلم ببضعة قرون !؟

والحق أنه كعلم مستقل مدون إنما كان ذلك في العصور المتأخرة ، أما كثير من قواعده فكانت معروفة للعرب وغيرهم قبل صيرورته فنا مستقلا ، وعلما له قواعده وأصوله والعرب أنفسهم كانوا يعرفون بفطرتهم وذكائهم بعض أصوله وقواعده ، وفي السيرة النبوية وسير الصحابة النبلاء ما يشهد لذلك ، وكثيرا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلاحظ في قادة الجيوش والسرايا أن يكون لهم قرابة للرسول إليهم ، أو على علم بأخلاق القوم ونفوسهم ، وفي معاملته صلى الله عليه وسلم لأهل مكة بعد الفتح وعفوه عنهم ، ومعاملته للزوّلة قلوبهم واعطائهم ، وخطبته في الأنصار لما قال بعضهم : يعطى قريشا ويدعنا - لدلالات متكاثرات على علم النبي الدقيق بالنفوس البشرية .

(٨) الرعد آية ١١

(٩) آل عمران آية ١١٩

(١٠) سورة محمد آية ٣٠

وفي تصرف الصديق رضى الله عنه يوم السقيفة ومنعه الفاروق رضى الله عنه أن يتكلم ، وقيامه هو ، وخطبته المشهورة المروفة ما يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا على علم بالنفوس البشرية ، وغرائزها ، وخصائصها الى غير ذلك مما لا يحصى .

بل ليرجع من يريد اليقين الى كتب التفسير في آية (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) وقوله (ولو نشاء لآريناكم ، فلعرقتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم في الحق) وسيرى فيما قاله بعض السلف في تفسير الآيتين ما يدل دلالة أكيدة على علمهم الدقيق ببعض أصول هذا العلم وقواعده .

٥ - أن يكون على علم بتاريخ الأديان السماوية السابقة كاليهودية والنصرانية ، وما دخلها من تحريف وتبديل حتى يمكنه أن يشرح مثل قوله تعالى (يعرفون الكلم من بعد مواضعه) (١١) وكذلك على علم بالنحل ، والمذاهب البشرية ، والدينية غير السارية كالبرهمية ، والبوذية ، والمزدكية ، والمناوية ، ونحوها .

وبذلك يستطيع المفسر أن يصل الى الحق والصواب حينما يعرض للآيات التي حاولت أهمل الكتاب ، ولا سيما النصراني في عقيدة التثليث ، وعقيدة الصلب ، والقداء الباطلنين ، وكيف تأثر النصراني في هاتين العقيدتين اللتين تقوم عليهما اديانة المسيحية المحرفة بالديانات والنحل القديمة ، والى ذلك أشار الحق تبارك وتعالى في قوله : (وقالت اليهود : عزيز ابن الله ، وقالت النصراني : المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاؤون قول الذين كفروا من قبل قال لهم الله انى يؤفكون) (١٢) ولا أدري كيف يفسر كلمة « يضاؤون » تفسيراً دقيقاً صحيحاً مدعماً بأدليل من لم يدرس تاريخ هذه الملل ، والنحل ، والمذاهب القديمة !؟

« وبعد ، فإذا كان من يعرض لتفسير كتاب الله القرآن ، على علم بهذه العلوم ، وغيرها مما لم نذكره فقد استأهل أن يكون مفسرا ، والا فليرح نفسه ، وليرحسنا معه ، ولا يخطب في كتاب الله بخط عشواء ، والله الهادي الى سواء السبيل .

(١١) الأئمة آية ٤٩

(١٢) التوبة